

سَتعُود بقوّة أعظم

القمص تادرس يعقوب ملطى

ستعود بقوة أعظم

رسالة من
القديس يوحنا ذهبى الفم
إلى ساقط يائس

حث ثيؤدور (تادرس) بعد سقوطه

AN EXHORTATION TO THEODORE AFTER HIS FALL

القمص
تادرس يعقوب ملطى



صاحب القداسة والغبطه البابا شنودة الثالث
بابا وبطريرك الكرازة المرقسية

رقم الإيداع بدار الكتب : ٨٥٥٧ / ٢٠٠٠

مقدمة

تادرس (ثيؤدور) اليائس

كان تادرس صديقًا للقديسين يوحنا ذهبى الفم وباسيليوس فى الحياة النسكية، ولكن أغواه جمال امرأة شابة حسنة الصورة تدعى Hermoine، فسقط فى حبها ورغب فى التزوج منها.

سقط تادرس الناسك فى حب هذه المرأة، لكن سقطته الكبرى كانت تتركز فى يأسه من قبول اللّه له وإمكان عودته إلى حياته النسكية الأولى، خاصة وأنه زميل وصديق لقديسين من أعظم قديسى الكنيسة.

ُرفعت لأجله الصلوات، وبُذلت المجهودات، وأخيرًا أرسل إليه القديس يوحنا ذهبى الفم رسالتين سجلتا لنا أروع ما تحتاج إليه النفس اليائسة من علاج... كشفتا لنا عن مراحم اللّه غير المحدودة، وأحضانه المفتوحة على الدوام لقبول الخطاة والزوانى، مهما بلغت خطاياهم، والحظر من أشنع شيطان، ألا وهو شيطان اليأس.

وقد أثمرت هاتان الرسالتان، فتاب تادرس بل ورُسم قسًا وهو فى الثالثة والثلاثين منن عمره سنة ٣٨٣م، وأسقفًا على Mopsuestia سنة ٣٩٢ وتنيح سنة ٤٢٨م.

رسالة لك

هذه مقتطفات من الرسالة الأولى، سجلها لنا بطريرك مختبر إلى نفس حزينة منكسرة، أحست بخطاياها وخجلت من العودة إلى ربنا يسوع حبيبها وفاديها.... فاستغل الشيطان الفرصة حتى يحرمها من مصدر حياتها.

حاولت أن أقوم بتبويب الرسالة ووضع عناوين جانبية **والإستغناء عن بعض العبارات للتبسيط**، وأرجو ألاّ تفقد الرسالة بهذا كيانها كوحدة واحدة تتحدث عن موضوع واحد هو "عدم اليأس" أو "الرجاء".

وفيما يلى أهم النقاط الواردة فى هذا الكتيب:

أولاً : لا تيأس

ثانيًا : " " فإن اللّه محب فى تأديباته.

ثالثًا" : " " قائلا: هل تُقبل توبة مؤمن سقط؟!

رابعًا: " " بينما اللّه يطلب جمالك.

خامسًا: " " لماذا تستسلم؟!

سادسًا: " " قوة التوبة.

القمص تادرس يعقوب ملطى

لا تيأس!!

اعرف قيمة نفسك

"يا ليت رأسى ماء، وعينىَّ ينبوع دموع" إر ٩:١.

إنه الوقت المناسب لى كى أنطق بهذه الكلمات الآن. نعم أكثر مما كان للنبى فى أيامه. فإننى وإن كنت لا أبكى على خراب مدنٍ كثيرة بل وجميع المدن، فإننى أنتحب من أجل النفس التى توازى كل هذه، بل وأكثر جدًا...

إننى لا أحزن لأجل دمار مدينة أو أسرها بواسطة الأشرار، بل أحزن لأجل تدمير روحك المقدسة... وهلاك الهيكل الحامل للسيد المسيح وابادته...

هذا الهيكل أقدس من ذاك (هيكل العهد القديم)، فإنه لا يتألق بذهب وفضة، بل بنعمة الروح القدس، وبدل تابوت العهد وتمثالىْ الشاروبيم يوجد فى القلب السيد المسيح وأبوه والباراقليط...

أما الآن بعد سقوطك، فالكل قد تغير، الهيكل خرب وزال جماله وبهاؤه، ولم يعد بعد مزينًا بالزينات الإلهية غير المنطوق بها، بل صار مفتقرًا إلى كل حماية وحصانة. فلم يعد له باب ولا متراس بل صار مفتوحًا لكل سلوك مدمِّر للنفس ولكل فكر معيب. فإن أراد فكرٍ حب الظهور أو الزنا أو حب المال أو أكثر من هذه الأفكار دنسًا أن تدخل فيه، فليس ما يمنعها. أما قبل السقوط فقد كانت الروح فى حصانة السماء التى لا يدخلها شئ من هذا.

يسوع قادر أن يقيمك

ربما يبدو كما لو كنت أنطق بـأمور لا يصدقها من شـاهد انحلالـك وخرابك، فمن هذه الناحيـة أبكـى منتحبًا، ولا أكـف عـن ذلـك حتـى أراك قائمًا فـى بهـائك السـابق مـرة أخـرى. فإنـه وإن كـان هـذا يبـدو مسـتحيلاً بالنسبة للبشر،لكن كل شئ مستطاع لـدى اللّـه. فهـو "المقيم المسـكين مـن الـتراب؛ الرافـع البـائس مـن المزبلـة ليجلسـه مـع أشـراف شـعبه" مز١١٣:٧،٨. وهو "المُسكن العاقر فى بيت أم أولاد فرحه" مز١١٣:٩.

إذًا لا تيأس من تغيُّرك تغيُّرًا كاملاً.

إن كـان الشيطان لديـه هـذه القدرة، أن يطرحـك أرضًـا مـن العلـو الشامخ والفضيلة السامية، إلى أبعد حدود الشر؛ فكم بالأكثر جدًا يكون اللّه قادرًا أن يرفعك إلى الثقة السابقة، ولا يجعلك فقط كما كنت، بل أسعد مـن ذى قبل.

لا تيأس

لا تيـأس ولا تطـرح الرجـاء الحسـن، ولا تسـقط فيمـا يسـقط فيـه الملحدون. **فإنه ليست كثرة الخطايا هى التى تـؤدى إلـى اليـأس بل عدم تقوى النفس.** فهناك فئة معينة هة التى تسلك طريق اليأس عندما يدخلـون طريق الشر، غير محتملين النظر إلـى فـوق، أو الصعـود إلـى فـوق مـا سقطوا إليه.

هذا الفكر الدنـس (اليـأس)، يثقل علـى عنـق النفس كـالنير فيُلزمهـا بالإنحناء، مانعًا إيَّاها من أن تنظر إلى اللّـه. لهذا فعمـل الإنسـان الشـجاع والممتاز هو أن يكسر هذا النير قطعًا، ويزحزح كل ثقل مثبت فوقه، ناطقًا بكلمات النبى: "مثل عينىّ الأمة إلى يدىّ سيدتها، كذلك أعيننـا نحـو الـرب إلهنا، حتى يتراءف علينا؛ ارحمنـا يـارب ارحمنـا، فإننـا كثيرًا مـا امتلأنـا هوانًا" مز١٢٣:٢،٣.

يقول: "امتلأنا هوانًا"، وإننا تحت ضيقات لا حصر لها، ومع هذا لن نكف عن التطلع إلى اللّه، ولا نمتنع عن الصلاة إليه، حتى يستجيب طلبتنا. **لأن علامة النفس النبيلة، هى ألاّ تنحنى من كثرة الكوارث التى تضغط عليها، أو تفزع، ولا تتراجع بعد عن الصلاة دفعات كثيرة...** بل تثابر حتى يرحمها اللّه كقول داود الطوباوى السابق.

تمسك بالرجاء

يسحبنا الشيطان إلى أفكار اليأس، حتى يقطع رجاءنا فى اللّه. **فالرجاء هو مرساة الأمان، ينبوع حياتنا، قائدنا فى الطريق المؤدى إلى السماء، خلاص النفوس الهالكة... فقد قيل "لأننا بالرجاء خلصنا"** رو٨: ٢٤.

الرجاء ، بالتأكيد يشبه حبلاً قويًا مُدلّى من السماء، يعين أرواحنا، رافعًا من يمسك به بثبات، فوق هذا العالم، وتجارب هذه الحياة الشريرة. فإن كان الإنسان ضعيفًا وترك هذه المرساة المقدسة، للحال يسقط ويختنق فى هوة الشر.

والشيطان يعلم ذلك، فعندما يدرك أننا متضايقون بسبب شعورنا بأعمالنا الشريرة، يضع فى نفسه أن يلقى علينا حملاً إضافيًا أثقل من الرصاص، وهو **القلق الناشئ عن اليأس**. فإن قبلناه يتبع ذلك حتمًا سقوطنا إلى أسفل بعامل الثقل، تاركين ذلك الحبل، ساقطين فى عمق البؤس الذى أنت فيه الآن، ناسين وصايا اللّه الوديع المتضع، متوقعين انذارات الطاغية القاسى وعدو خلاصنا الذى لا يغفو، كاسرين النير الهين وملقين عنا الحمل الخفيف، لنضع بدلاً منهما طوقًا حديديًا، معلقين على رقابنا حجارة طاحونة ثقيلة...

لا تغلق الباب...افرحنى معك

المرأة التى وجدت الدرهم الواحد، دعت جاراتها ليشاركنها فى فرحتها قائلة: "افرحن معى" وأما أنا فأستدعى كل أصدقائنا - أنا وأنت - لهدف مخالف، غير قائل لهم "افرحوا معى، بل "ابكوا معى"، لأنه قد حدثت لى أشر خسارة. انها ليست وزنات من ذهب، أو كميات ضخمة من حجارة كريمة سقطت من يدى، بل ما هو أثمن من كل هذا، فذلك الذى كان يبحر معى فى نفس البحر وعلى نفس القارب لست أعرف كيف انزلق من على ظهر السفينة وسقط فى هوة الهلاك...!!

علينا فقط ألاّ نيأس، ولا ننمى فينا الخوف من الرجوع، لأنه من كان كذلك، فإنه حتى إذا نال قوة وغيرة بلا حدود تصير بلا فائدة...!

لا تكف عن الصراع

من يغلق على نفسه باب التوبة، ويمتنع عن الدخول فى ميدان السباق، كيف يمكنه أن ينال أمرًا صالحًا، قليلاً كان أو كثيرًا، وهو فى الخارج مربوط؟!!

فالشرير يستخدم كل الحيل ليزرع فينا فكر اليأس، فإن نجح فى ذلك، لا يحتاج بعد إلى جهاد أو تعب فى صراعه ضدنا، مادمنا منطرحين وساقطين وغير راغبين فى المقاومة...

من يقدر أن يتخلص من هذه السلسلة، ويستعيد قوته، ولا يكف عن المقاومة ضد الشيطان حتى آخر نسمة، حتى ولو سقط مرات كثيرة بلا عدد، مثل هذا يقوم ويضرب عدوه. أما من كان فى عبودية أفكار اليأس... فكيف يقدر أن يغلب وهو لا يقاوم بل يهرب أمام عدوه؟!

لا تيأس فإن **اللّه محبُ فى تأديبَاته**

مفهوم غضب اللّه

غضب اللّه ليس إنفالاً، وإلاّ كان يحق للإنسان أن ييأس لعدم قدرته على إطفاء لهيب غضب اللّه المشتعل بسبب أعماله (أى الإنسان) الشريرة. لكن اللّه بطبيعته خال من الانفعال حتى إن عاقب وإن انتقم، فإنه لا يصنع ذلك حنقًا، بل عن اهتمام بن ففيه حنان وعفو عظيم. وهذا يدفعنا إلى أن تكون لنا شجاعة عظيمة صالحة، وأن نثق فى قوة التوبة.

لماذا يؤدب؟

الذين أخطأوا ولو فى حقه، لا يرغب فى معاقبتهم انتقامًا لنفسه، لأنه لا يصيب لاهوته ضرر، إنما يفعل ذلك لأجل نفعنا، لكنه يمنع انحرافنا الذى يتزايد باستهتارنا وعدم مبالاتنا به.

فكما أن الذى يبقى خارجًا بعيدًا عن النور، لا يضر النور فى شئ، بل تقع الخسارة العظمى عليه بكونه فى الظلام، هكذا ممن اعتاد أن يحتقر القوة القادرة، لا يضر القوة بل يضر نفسه بأكبر ضرر ممكن.

لهذا السبب يهددنا اللّه بالعقوبات، بل وقد يصبها علينا، ليس انتقامًا لنفسه بل كوسيلة لجذبنا إليه.

مثال

...اننى أسأل: مَنْ مِنَ الناس فسد أكثر من ملك بابل (نبوخذنصّر)، هذا الذى اختبر قوة اللّه بغزارة، حتى خضع لنبى اللّه (دانيال)، وأمر بتقديم تقدمات وبخور للّه، لكنه عاد مرة أخرى إلى كبريائه السابق ملقيًا (بالثلاثة فتية) الذين لم يمجدوه أكثر من اللّه فى الأتون؟!

ومع هذا كله، فقد دعى اللّه هذا الرجل القاسى، عديم التقوى، الذى هو بالحرى حيوان مفترس أكثر منه مخلوق بشرى، دعاه إلى التوبة، معطيًا إياه فرصًا كثيرة لذلك (للتوبة).

فالفرصة الأولى تلك المعجزة التى تمت فى أتون النار (أى ظهور ابن اللّه مع الثلاثة فتية فى وسط النار دا ٣).

والفرصة الثانية هى تلك الرؤى التى ظهرت له، والتى فسرها له دانيال، هذه الرؤى الكفيلة بأن تسحق أى قلب حجرى (دا ٤).

وبعد ذلك نصائح النبى نفسه الذى قال له : "أيها الملك فلتكن مشورتى مقبولة لديك وفارق خطاياك بالبر وآثامك بالرحمة للمساكين لعله يطال اطمئنانك" (دا ٤:٧...).

ماذا تقول أيها الرجل الحكيم (دانيال) الطوباوى؟!

هل يمكن أن تكون له فرصة للرجوع بعد هذه السقطة العظيمة؟!

هل تعود إليه الصحة بعد مرض كهذا؟!

وهل يمكن أن تعود إليه رزانة عقله بعد جنون مطبق كهذا؟!...

مع هذا كله لم يعاقبه اللّه بل إستمر يطيل أناته عليه ناصحًا إيَّاه تارة بالرؤى وأخرى على لسان نبيّه. ولكن إذ لم يحدث له أى صلاح، بأى طريق من هذه الطرق، أخيرًا صب اللّه عليه العقاب، "طُرد من بين الناس وتساوى قلبه بالحيوان وكانت سكناه مى الحمير الوحشية فأطعموه العشب كالثيران وإبتلّ جسمه بندى السماء" دا ٥:٢١. ولم يكن هذا العقاب للانتقام منه عما سبق أن فعله، بل لأجل قطع أسباب الخطية المقبلة، وليمنع تماديه فى الشر.

ولم يصُب الرب عليه العقاب إلى الأبد، بل بعد أن استمر تأديبه له سنوات قليلة، أعاده ثانية إلى مركزه الأول دون أن تصيبه خسارة بسبب العقاب، بل على العكس استفاد أكبر فائدة ممكنة إذ نال إيمانًا ثابتًا فى اللّه، وتوبة عن أفعاله الشريرة.

منتظر توبتك

هذا هو حنو اللّه أنه لن يُدير وجهه عن توبة صادقة، فحتى إذا كان الإنسان قد اندفع إلى أقصى حدود الشر، عندما يعود إلى طريق الفضيلة، يقبله اللّه ويرحب به، ويصنع معه كل شئ إلى أن يعيده إلى حالته الأولى.

فاللّه يعمل إلى أقصى حدود الرحمة، حتى ولو لم يُظهر الإنسان توبه كاملة، **فهو لا يتجاهل أمرًا صغيرًا أو زهيدًا**، بل يعطى عن هذا جزاءًا عظيمًا. ويظهر ذلك من قول النبى إشعياء: "من أجل إثم مكسبه غضبت وضربته، استترت وغضبتُ، فذهب عاصيًا فى طريق قلبه. رأيت طرقه وسأشفيه وأقوده وأرد تعزيات له ولنائحيه" إش ٥٧:١٧،١٨.

وسنقتبس مثلاً آخرًا، وهو أشر الملوك كفرًا، الذى كان يخطئ بتأثير زوجته، لكنه ما أن تأسف ولبس المسوح، ودان أخطاءه حتى ربح لنفسه مراحم اللّه... فقد قال اللّه لإيليا: "هل رأيت كيف اتضع أخاب أمامى، فمن أجل أنه قد اتضع أمامى لا أجلب الشر فى أيامه" ١ مل ٢١:٢٩.

ليس فقط ما حدث مع هؤلاء، بل كلمات النبى تشهد بإبادة اللّه لأفكار اليأس، إذ قال: "اليوم إن سمعتم صوته. فلا تقسُّوا قلوبكم كما فى مريبة" مز ٩٥:٧،٨. وكلمة "اليوم" هنا يقصد بها أى لحظة من لحظات الحياة، حتى ولو كنت فى سن الشيخوخة، إن أردت. فالتوبة لا تُحسب بعدد الأيام بل بحالة الروح. فأهل نينوى لم يحتاجوا إلى أيام كثيرة لإزالة خطاياهم، بل كان جزء صغير من يوم كافيًا لسحق شرورهم. واللص أيضًا لم يكن محتاجًا إلى فترة طويلة للدخول إلى الفردوس، بل فى تلك اللحظة القصيرة التى احتملت كلمة واحدة، غُسلت خطاياه التى ارتكبها كل أيام حياته. لقد نال المكافأة الموهوبة له من اللّه قبل أن ينالها الرسل. ونحن نرى الشهداء وقد نالوا أكاليل المجد لا بعد عدة سنوات، بل بعد أيام

قليلة، وغالبًا ما كانت تتم فى يوم واحد (أى كان بعضهم يقبل المسيحية ويستشهد فى نفس اليوم).

لذلك فنحن فى حاجة إلى غيرة فى كل إتجاه، واستعداد عظيم للفكر، فإن هيأنا الضمير لكى يكره شرورنا الماضية ويختار الطريق الآخر بأكثر نشاط، حسب إرادة اللّه ووصاياه، ننال خيرًا كثيرًا فىفترة زمنية وجيزة، فكثيرون كانوا آخرين لكنهم سبقوا الأولين.

لا تيأس قائلاً:

هل تُقبل توبة مؤمن سقط؟!

الرجوع أمر طبيعي

السقوط في ذاته ليس بالأمر الخطير، بل يكمن الخطر في البقاء منطرحًا بعد السقوط، وعدم القيام مرة أخرى. فالجُبن والكسل يخفيان نيّة الضعف الخلقي تحت حجة " اليأس".

لهؤلاء أيضًا ينطق النبي في حيرة قائلاً "هل يسقطون ولا يقومون، أو يرتد ولا يرجع" ؟! إر ٤:٨.

فإن طلبت مني أمثلة عن **أشخاص سقطوا بعد الإيمان**، فإن كل ما كتب في الكتاب المقدس يخص هؤلاء الأشخاص، لأن الذي يسقط كان مُنتسبًا إلى الذين لازالوا قائمين، وليس إلى الذين مازالوا مطروحين، لأنه كيف يسقط أحد من المطروحين؟!

أمثلة

١. الخروف الذي انفصل عن التسعة والتسعين (لو١٥:٤،٥) ورجع ثانية، لا يمثل لنا سوى السقوط ثم العودة إلى الإيمان. لأنه لم يكن خروفًا من قطيع غريب بل ينتمي إلى نفس قطيع المؤمنين، وكان يرعاه نفس الراعي، ولم يضل في مكان عام، بل تاه بين الجبال في الوادي أي في رحلة طويلة، بعيدًا جدًا عن الطريق المستقيم...

لقد أعاده الراعي دون أن يطرده أو يضربه، بل حمله على كتفيه!

فكما يتعهد الأطباء من أزمنوا كثيرًا في المرض بعنايتهم بهم، غير مستخدمين قوانين فنون الطب فحسب بل وأحيانًا يعطونهم هبات، هكذا

يقود اللّه من سقطوا بعيدًا جدًا، لا بشدةٍ، بل بلطفٍ، وبتدرج، ويعينهم من كل جانب، حتى لا يزداد انفصالهم أو تتكاثر أخطاؤهم.

٢. ونفس الحقيقة تنصب على مثل الابن المسرف. فهو أيضًا لم يكن غريبًا بل ابنًا وأخًا لابن يُسرّ أبوه به جدًا، وقد غرق فى رذيلة شاذة، وذهب إلى أرض بعيدة جدًا أى أرض الخطية.

لقد سقط الابن الغنى، الحر، المهذب، فى أشد درجات البؤس، أشد مما كان عليه العبيد والغرباء والأجراء! ومع ذلك فقد رجع إلى حالته الأصلية، وأُعيدت إليه كرامته السابقة. فلو تطرق إليه اليأس من هذه الحياة، واغتم بسبب ما سقط فيه، لبقى فى الأرض الغريبة ولم يحظ بما ناله ولهلك من الجوع، وسقط فى الموت الذى يُرثى له. لكنه إذ تاب ولم ييأس، أنقذ ما هلك هلاكًا عظيمًا ورجع حائزًا على نفس المقام الأول، لابسًا الثوب الجميل، متمتعًا بالكرامات العظيمة التى لم ينلها أخوه الذى لم يسقط...

عظيمة هى قوة التوبة!!...

٣. **الشاب الساقط:** اسمع الآن بعضًا مما قد حدث فى كأمثلة واقعية. فقد ارتكب شخص معروف من أهل كورنثوس خطية، لا تُسمى (لا تحدث) بين الأمم. هذا الشخص كان مؤمنًا وينتمى إلى بيت السيد المسيح، ويقول البعض إنه كان فى ذلك الوقت من رجال الكهنوت.

ماذا إذن؟ هل قطعه بولس الرسول عن الشركة مع من هم فى طريق الخلاص؟ كلا. فإن بولس الرسول الذى انتهر أهل كورنثوس مرات عديدة لأنهم لم يقدموا له فرصة للتوبة، كان يرغب فى أن يبرهن لنا أنه ليست خطية بلا علاج، فقد قال عن ذلك الرجل الذى كانت خطيته أشنع من أن يفعلها الأمم "أن يُسلم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكى تخلص الروح فى يوم الرب يسوع" ١كو٥:٥. لكنه بعد ما تاب قال: "مثل هذا يكفيه هذا

القصاص الذى من الأكثرين" ٢كو٢:٦ موصيًا إيّاهم فى رسالته الثانيــة أن يقبلوا ذلك الشخص مرة أخرى ويرحبوا بتوبته حتى لا يهلكه الشيطان...

جهنم لم تعد لنا

ليتنا نرجع إلى اللّه، أيها الحبيب، ونتمم مشيئته. فقد خلقنا وأوجدنـا لنكون شركاء فى الحياة الأبدية وليـس لكـى يطرحنـا فـى جهنـم أو يسـلمنا للنار. **لأن جهنم للشيطان وليست لنا، وأما نحن فقد أعد لنا الملكوت منذ زمن بعيد.**

وفـى شـرح هـذه الحقـائق، قـال السـيد للذيـن عـن اليميـن "تعـالوا يامباركى أبى رثوا الملكوت **المعدّ لكم** منذ تأسيس العـالم" مـت ٢٥ :٣٤. وأما الذين عن اليسار فيقول لهم: "إذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية" وهنا لم يقل: "المعدة لكم" بل "المعدة لإبليس وملائكته" ٢٥:٤١.

ليتنا لا نحرم أنفسنا من الدخول إلى حجرة العـروس. فطالمـا نحـن فى هذا العالم، فإن كانت خطايانا بلا حصـر، يُمكن غسلها بالتوبة الصادقـة . أما عندما نرحل إلى العالم الآخر فلن تنفعنـا أعمـق توبـة، ولـو صررنـا على أسناننا وقرعنا صدورنا ونطقنا بكل عبارات الاستغاثة. فإنه لن يـبرد أجسادنا المحترقة بقطرة ماء ولا بطـرف اصبعـه، ولـن نسمع سـوى تلـك الكلمات التى قيلت فى مَثل الغبى: "بيننا وبينكم هوَّة عظيمة، لو١٦:٢٦.

لذلك أطلب إليك أن تشقى حواسك حتى تعرف اللّـه كمـا ينبغـى أن يُعرف. لأن الرجـاء لا يتبدد إلا فـى الهاويـة، حيـث يصـير العـلاج عديـم الفائدة... أما هنا فمتـى اسـتخدمناه، ولـو كنـا مُسنِّين، فإنـه يجلـب لنـا قـوة عظيمة.

لهذا فإن الشيطان يستخدم كل الطرق حتى يبذر فينا بذور اليـأس، لأنه يعلم أننا إن تُبنا، ولو قليلاً، فسننال مكافأة. وكما أن الـذى يقدم كـوب مـاء بارد لا يضيع أجره. هكذا مَنْ يقدم توبة عن شروره التى ارتكبها ولو

لم تكن بقدر ما تستلزمه شروره فإنه لا يضيع أجره. فالحاكم العادل لا يغفل عن أى شئ صالح، مهما كان صغيرًا. لأنه إن كان فى يوم الدينونة يدقق في خطايانا، حتى أنه يحاسبنا عن كل كلمة وكل فكر، فبالاكثر جدًا يدقق فى أعمالنا الصالحة، سواء أكانت كبيرة أو صغيرة...

عليك فقط أن تتقدم للعمل وتفتح باب الدخول إلى موضع الجهاد، وبقدر ما تتأخر فى الخارج سيبدو لك العمل صعبًا وغير عملى.

قبل القيام بالعمل تبدو لنا الأمور البسيطة والسهلة، بحسب مظهرها، أنها صعبة علينا جدًا. لكننا إذ نبدأ نعمل تزول المخاطرة، وتحتل الثقة مكان الريبة واليأس، ويقل الخوف، وتزداد سهولة العمل ويقوى رجاؤنا الصالح...

لو كنتُ بالحقيقة أطلب منك أن تصعد إلى حالتك الأولى دفعة واحدة، لكان من الطبيعى أن تشتكى بأن هذا صعب، لكن كل ما أطلبه منك هو أن تستعد وترجع إلى الإتجاه المضاد، فلماذا تتردد وترتجف وتتقهقر؟!

تذكر يوم الدينونة (زُرْ المدافن)

ألم تنظر أولئك الذين ماتوا وهم فى ترفهم وسكرهم ولعبهم وغير ذلك من حماقات هذه الحياة؟!

أين هم الآن أولئك الذين اعتادوا أن يتبختروا زهوًا فى الأسواق فى أُبهة وقد تجمهر حولهم أتباعهم؟! الذين لبسوا الحرير وتعطروا بالروائح وامتلأتْ موائدهم من الفراديس وشاهدوا المسارح بلا انقطاع؟! ماذا صار إليه كل ما استعرضوه؟!...

لتذهب إلى التابوت (نعش الميت) ولتتأمل التراب والرماد والدود، فكر فى المكان الذى تعافه النفس؛ وتنهد بمرارة.

وليت الجزاء يقف عند حد الرماد!! والآن فلتنتقل أفكارك من التابوت، ومن ذلك الدود إلى الدود الذى لا يموت، والنار التى لا تُطفأ، وصرير الأسنان، والظلمة الخارجية والحزن والضنك، انتقل بأفكارك إلى مثل لعازر والغنى. الذى بالرغم مما كان يملكه من الغنى ويلبسه من الأرجوان، لم يقدر أن ينال حتى قطرة من الماء...

عندما تسمع عن النار لا تظنها كنار هذا العالم. لأن نار هذا العالم تحرق وتبيد ما اشتعلت به، أما تلك فتحرق على الدوام أولئك الذين أمسكت بهم ولا تكف عن ذلك، لذلك دُعيت "لا تُطفأ". لأن أولئك الذين أخطأوا سيبقون فيها على الدوام، لا للمجد بل ستصير لهم مادة دائمة لنوال العقاب الذى سيعمل فيهم إلى الأبد.

ياله من أمر مرعب!! أن تعجز اللغات عن التعبير عنه!! ستصرُّ أسناننا بسبب أعمالنا وآلامنا التى لا تطاق، وليس هناك من ينقذنا!!

نعم. سوف نتنهد بقوة حيث تصيبنا النيران بقسوة، وليس من منقذ من أولئك الذين يعاقبون معنا وهم فى خراب عظيم!!

كيف يمكن لأحد أن يصف رعب النفوس من الظلام؟! فكما أن النار ليس لها سلطان أن تبيد، كذلك ليست لها قدرة على الإضاءة، وإلاّ ما كان هناك ظلام...

أى ترف (فى هذا العالم) تظن أنه يعادل هذه العقوبة وذلك الإنتقام؟

وكم من الزمن يعادله؟

أتظن مائة عام أو مائتين تعادل ذلك؟

وماذا يساوى هذا الزمن بجوار الزمن غير المحدود؟!

فالتمتع بالأمور الزمنية عند مقارنتها بحالنا فى العالم الآن ليس إلاّ حُلما فى يوم واحد وسط كل الحياة. فمن منّا يقبل أن ينال عقابًا أبديًا لأجل رؤية حُلم طيب؟!

اذكر سعادة الأبرار

أطلب إليك أن تتأمل الحياة الأخرى، ما أصعب أن تتأملها! فإنه لا تستطيع لغة أن تُعبر عنها، لكننا نحاول أن نأخذ لها صورة ولو غير واضحة، مستعينين بما أُخبرنا به، كما لو كان خلال ثقوب...

أى حياة مباركة أكثر من هذه؟

لا يمكن أن يوجد فيها خوف ولا فقر ولا مرض. ويستحيل أن تجد إنسانًا يضره أحد أو يضر أحدًا، ينتهر أو يُنتهر، غضوب أو حاسد، أو محترق بأية شهوة مشينة، أو يقلق لأجل نوال ضروريات الحياة أو يتحسر على فقدان كرامة أو سلطان، لأن كل زوابع الآلام تُقمع وتزول، ويصير الكل فى سلام وسرور وفرح، وتسير كل الأمور فى هدوء، ونكون فى نهارٍ دائمٍ وضياءٍ ونورٍ ليس مثل هذا النور الذى فى العالم... فلا يكون ليلٍ غروب، لا برد ولا حر، ولا تعاقب مواسم...

وأما ما هو أعظم من هذا كله، فهو الفرح الدائم فى الشركة مع السيد المسيح، فى صُحبة الملائكة ورؤساء الملائكة والقوات السمائية...

حقًا إن أغلب الذين ليس لهم هدف سليم معقول، يصارعون من أجل الهروب من جهنم.، لكننى أقول أن العقاب الأشد من الجحيم هو حرماننا من أمجاد العالم الآتى. وأظن أن **من يفشل فى بلوغها ينبغى ألاّ يحزن بسبب ما يعانيه فى جهنم بقدر ما يحزن على طرده من السماء. لأن هذا فى ذاته أقسى عقوبة...**

اللّه يطلب جمالك!!

مقدمة

اللّه خالق... خلق النفس البشرية على صورته ومثاله، وهذا الخلق لم يكن بإرادة الإنسان، إذ كان عدمًا. أما بعد خلقته فقد صارت له إرادة حرة لأنه على مثال اللّه... لكن بهذه الإرادة الحرة أفسدت النفس جمالها واحتاجت إلى يد الخالق أن تعمل فيها، غير أنه لن يعمل إلا إذا أرادت النفس لأن لها مطلق الحرية.

وبالصليب صار للنفس البشرية أن تطلب - إن أرادت - يد الخالق ليعيدها إلى جمالها الأول... وهى فى ذلك تنمو يومًا فيومًا، وتبرز فيها ملامح صورة اللّه إلى أن يأتى يوم الدينونة فتكون لنا صورة كاملة له، ونشاركه فى مجده... نحن الآن فى العالم فى دور التكوين، إما أن نطلب يد اللّه حتى ينمو الإنسان الجديد الذى له صورة اللّه ويغلب الإنسان القديم أو نرفض عمله فينا، فنفك رباطات الإنسان القديم أى الصورة المشوهة فينا و التى لا يكون لنا فيها نصيب مع الفادى.

وقد قارن القديس يوحنا ذهبى الفم بين خلقة الإنسان وهو فى الرحم، وخلقة الإنسان الجديد (نموها كل يوم) فى هذا العالم... فرأى أن كليهما يتحققان فى عالم ضيق مملوء بالمتاعب، وأن كليهما تبرز فيهما الملامح يومًا فيومًا... وأنه إذا وُلدت احداهما قبل الموعد تنزل من ضيق إلى ضيق أعظم.

غير أن هناك فارقًا شاسعًا بين الإثنين، فالإنسان يُخلق فى رحم أمه رغم إرادته، ولا يُأخذ رأيه فى لونه أو جمال وجهه أو طوله. ألخ أما النفس البشرية فلها أن تمسك يد الفادى ليخلق لها الصورة التى تطلبها، إن

اشتاقت إلى ملامح المحبة الإلهية أو ملامح السلام أو الوداعة أو التعفف أو الصلاح... كل هذا ترسمه يد اللّه فى القلب فاللّه ساكن فيه ومستعد أن يعمل، لأنه "يريد أن الكل يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون"، لكنه ينتظر قبول النفس البشرية.

نحن فى دور الخلقة

إننا فى هذا العالم نشبه الجنين فى الرحم. فنحن قاطنون فى هذا العالم الضيق وغير قادرين هنا – مهما فعلنا – أن ننال مجد الحياة الأخرى وحريتها، لكن متى جاء موعد رحيلنا، يوم يقذف هذا العالم بالإنسان إلى يوم الدينونة (كما يقذف الرحم بالجنين). فإن الذين أجهضهم العالم (أى كانوا سقطًا لم يكتمل نموهم) يخرجون من الظلمة، ومن حزن إلى حزن أشد؟

أما الذين كمُل تكوينهم (أى يُولدون أحياء) لهم ملامح الصورة الملكية، فإنهم يُقدمون إلى الملك ويقومون بالخدمة التى للملائكة ورؤساء الملائكة نحو إله الكل.

لذلك أطلب إليك أيها الصديق ألاّ تزيل تلك الملامح (العلامات) تمامًا، بل أن تصلحها بسرعة، وتختمها على نفسك بأكثر كمال.

تستطيع تشكيل روحك

حقًا لقد ثبّت اللّه الجمال الجسدى فى حدود الطبيعة (أى لا يقدر الإنسان على تشكيل جسده)، أما نعمة الروح فتُعتق من الحبس والعبودية، صاعدة من هذه الحالة، بقدر ما تسمو كثيرًا عن أى تناسق جسدى، وهى تعتمد فى ذلك علينا (أى إرادتنا) وعلى نعمة اللّه.

فسيدنا، بكونه رحيمًا، شرّف جنسنا فى هذا الطريق الخاص، تاركًا للطبيعة أن تختص بتشكيل الأمور الصغيرة (الجسد) التى لا تساهم كثيرًا

فى نفعنا، تحت سلطانها أمور غير هامة، أما نحن فجعلنا فنانين فيما يختص بالأمور التى هى بحق هامة (أى بإرادتنا نُسلِّم لنعمة اللّه أن تشكل النفس وتجمّلها).

فلو ترك اللّه لنا أن نشكل أجسادنا، لأصبحنا فى قلق متزايد، وأضعنا كل أوقاتنا فى أمور لا تنفع، وبالتالى كنا نهمل الروح إهمالاً زائدًا.

وبالرغم مما نحن عليه، من عدم إعطائنا هذا السلطان (فى اختيار وتشكيل أجسادنا)، نقوم بمجهودات جبارة، وإذ لا نقدر أن نحصل على جمال جسدانى حقيقى، ندبِّر بدهاء تقليدات كثيرة، باستخدام المساحيق والأصباغ، والتزين بشعر مستعار، والحُلىّ، واستخدام أقلام للحواجب... وكثير من الحيل. فلو أعطيت لنا القدرة على تشكيل الجسد تشكيلاً حقيقيًا، فهل سيكون لنا الوقت الذى نخصصه للنفس وللأمور الخطيرة؟!

لو فرضنا أن هذا هو عملنا، ما كان لنا عمل آخر، بل كنا نقضى كل زماننا فيه، نزين الجارية (الجسد) بزخارف لا حصر لها، تاركين سيدتها (النفس) فى حالة مشوهة ومهملة. لهذا السبب أعفانا اللّه من العمل غير المفيد، واضعًا فينا قوة العمل فى العنصر النبيل (النفس).

فمن لا يقدر أن يغير جسده القبيح إلى شكل جميل، يستطيع أن يسمو بالنفس، حتى ولو كانت قد انحدرت إلى أقصى حدود القبح، ليصل بها إلى قمة الجمال. ولا يجعلها محبوبة ومرغوبًا فيها من الصالحين فحسب بل ويجعلها من اللّه ذاته سيد الكل وإلههم يقول المرتل عندما نطق بخصوص هذا الجمال: "فيشتهى الملك حسنك" مز ٤٥.

اللّه يقبل الزوانى

ألا ترى أنه حتى فى بيوت العاهرات، بصعوبة يقبل المصارعون لأجل المكافأة والعبيد الهاربون والمجالدون (الأسرى أو العبيد الذين يُطلب

منهم أن يتقاتلوا حتى الموت لامتاع الناس فى روما القديمة) النساء قبيحات المنظر اللواتى بلا حياء؟!

وإن سقطت إحدى النساء الجميلات الصورة، ذات الأصل الطيب والوديعة، لظروف سيئة، أفلا يخجل أى شخص من العظماء أن يتزوج منها؟!

وكما أن بعض الرجال كثيرى الشفقة، ذوى الأمجاد العظيمة، يعتقون نسوة من عبوديتهن، اللواتى كن بلا كرامة فى بيوت العاهرات، ويقبلونهن زوجات لهم، "هكذا يصنع اللّه بالأكثر مع تلك النفوس التى اغتصبها الشيطان، فسقطت من حالتها النبيلة الأولى وصارت زانية فى هذه الحياة.

وقد امتلأت أسفار الأنبياء بأمثلة من هذا النوع، عندما خاطبوا أورشليم التى سقطت فى الزنا... فكما يقول حزقيال: "لكل الزوانى يعطون هدية، أما أنتِ فقد أعطيتِ كل محبيك هداياكِ ورشيتهم ليأتوكِ من كل جانب للزنا بك" حز١٦:٣٣. وقال آخر: "فى الطرقات جلست كأعرابى فى البرية" إر٣:٢. وهذه الإنسانة(أورشليم) التى ارتكبت الزنا بهذه الصورة، دعاها اللّه مرة أخرى، وعندما سمح بأسرها لم يكن للانتقام منها بقدر ما كان لإصلاحها...

إن كان اللّه لم يتخل عن توبة هذه التى ارتكبت الزنا دفعات كثيرة، كم بالأكثر يقبل نفسك التى سقطت لأول مرة؟!

أنظر إلى مقدمة إرميا وإلى أسفار الأنبياء، عندما احتقر الشعب الرب وذمُّوه، كيف أسرع هو إليهم وجدَّ فى طلب صداقة من تركوه.

وهذا أيضا ما أظهره بوضوح فى الأناجيل قائلاً: "يا أورشليم ياأورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا" مت ٢٣ :٣٧. وكما كتب بولس الرسول إلى أهل كورنثوس قائلاً: "إن اللّه كان فى

المسيح مصالحًا العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم وواضعًا فينا كلمة المصالحة، إذ نسعى كسفراء عن المسيح كأن اللّه يعظ بنا. نطلب عن المسيح تصالحوا مع اللّه" ٢ كو٥:١٩،٢٠.

تأمل فإن هذا قد قيل لأجلنا.

جمال الجسد

إنني أعلم أنك معجب الآن برشاقة هيرميون Hermione وقد حكمت بأنه لا يوجد فى العالم من يضارع جمالها.

أيها الصديق... إن أردت، تقدر أنت نفسك أن تضارعها فى حُسنها وجمالها، كما تضارع التماثيل الذهبية تلك التى من الطين. لأنه إن كان جمال الجسد يسحر عقول الرجال ويثيرها، فكم يكون جمال الروح وحسنها عندما تتألق؟!

فما هو مصدر هذا الجمال الجسدى، إلا ما فيه من لعاب ودم وعصارة صفراء وطعام ممضوغ ... ؟!

إن تأملت ما فى داخل العينين الجميلتين والأنف المستقيم والفم والوجنتين، فسوف لا تجد هذه الأعضاء الجميلة سوى كونها قبورًا مبيضة مملوءة فى الداخل قاذورات.

تصور أنك رأيت خرقة بها قليل من اللعاب أما تأنف من أن تلمسها حتى ولو بأطراف أصابعك؟! بل ولا تحتمل النظر إليها، ومع ذلك تنخدع بتأثير مخزن هذه الأمور؟!

جمال الروح

أما جمالك أنت فليس من هذا النوع، بل يفوق جمالها، كما تسمو السماء عن الأرض، بل بالحرى أكثر من ذلك وأبهى ...

وإن كان لم يرَ أحَد روحًا بذاتها منفصلة عن الجسد، إلا أنى مع هذا سأحاول أن أقدم لك جمال الروح بطريق آخر، أقصد حالة القوات السمائية العظيمة.

إسمع فإن جمال هذه القوات أرعد دانيال الرجل المحبوب. فمع أنها (ملائكة) لم تظهر له في طبيعتها الأصلية كما هى، بل فى ظلام وبطريقة قاتمة، إلا أنها أضاءت بلمعان عظيم هكذا، فكم بالأكثر تكون صفات طبيعتها عندما تتحرر من هذا الحجاب؟!

إن هذا يُظهر إلى حد ما صورة جمال الروح "لأنهم مثل ملائكة اللّه" لو ٢٠ : ٣٦ ...

لماذا تستسلم؟!

لا تقف جامدًا

إن كل ما أسألك إياه، هو أن تطلق ذاتك من عبوديتك الشريرة، وأن تسترد الحرية القديمة، آخذًا فى اعتبارك العقاب الناجم عن فجورك، والمجد الذى كان لك فى حياتك الأولى. فإن غير المؤمنين لا يبالون بالقيامة ولا يخافون الدينونة، وهذا ليس بعجيب ... أما نحن الذين سرنا بثبات وراء العالم الآتى أكثر من الأمور الزمنية، فإن قضينا حياتنا فى طريق البؤس المُحزن ولا نتأثر قط بذكر الأمور السماوية، بل نسقط فى جمود زائد، يُحسب هذا يكون أمرًا سخيفًا إلى أبعد الحدود. لأننا إن كنا نحن المؤمنون نصنع ما يفعله غير المؤمنين بل نكون أحيانًا أبأس منهم، لأن من بينهم من يسلك فى الفضيلة، فأى تعزية تكون لنا، وأى عذر نقدمه؟

حقًا إن كثيرين من التجار الذين غرقت سفنهم، لم يستسلموا بل كملوا رحلاتهم. وهذا يحدث عندما تكون الخسارة ناجمة لا عن إهمال بل بسبب شدة الرياح، فهل يليق بنا نحن الذين لنا ما يدعونا إلى الثقة بخصوص نهايتنا، متأكدين أننا إن لم نشأ، لن يصيب سفينتنا أى هلاك، ولن يحدث لنا أى حادث ينجم عنه خسارة، ألا نعود مرة أخرى إلى العمل ونستمر فى الجهاد كما كنا فى الماضى أم نتكاسل وتقف أيدينا؟!

وليت أيدينا تقف فقط بل نستخدمها ضد أنفسنا كمن هم فى جنون مطبق!! لأنه لو ترك أى ملاكم رأسه بين يدى خصمه، أما يحسب هذا جنونًا؟!

فالشيطان أسقطنا وطرحنا، أما نحن فعلينا أن نقوم ولا نسقط مرة أخرى غير طارحين أنفسنا لنضيف إلى ضرباته لنا ضربات أخرى.

داود لم يستسلم

كان لداود الطوباوى، سقطة كتلك التى أنت سقطتَ فيها، بل وتلاها سقطات أخرى، أقصد بذلك أنه كان قاتلاً لها.

ماذا إذن؟ هل بقى منطرحًا؟

ألم يقم فى الحال مرة أخرى بقوة ووقف يحارب العدو؟

حقًا أنه صارع معه بشجاعة، حتى صار حافظًا لنسله بعد وفاته. لأنه عندما أخطأ سليمان خطية عظيمة، كان يستحق ميتات كثيرة. لكن اللّه قال له أنه سيترك له المملكة بدون انقسام: "فإنى أمزق المملكة عنك تمزيقًا وأعطيها لعبدك. إلا أنى لا أفعل ذلك فى أيامك من أجل داود أبيك بل من يد ابنك أمزقها" ١ مل ١١:١١،١٢.

ومرة أخرى، عندما أوشك حزقيا أن يتعرض لخطر عظيم بالرغم من كونه إنسانًا بارًا،، أنقذه اللّه من أجل هذا القديس "وأحامى عن هذه المدينة لأخلصها من أجل نفسى ومن أجل داود عبدى" ٢ مل ١٩:٣٤.

يا لعظمة قوة التوبة!! ... فلو ردد داود فى قلبه كما تفعل أنت الآن، قائلاً فى نفسه: اللّه أعطانى كرامة عظيمة، ووهبنى مكانًا بين الأنبياء، وائتمننىعلى حكم المدينة، وخلصنى من بلايا كثيرة، فكيف أقدر أن أحوز رضاه بعد ما عصيته مرتكبًا أشنع الجرائم، رغم نعمه الكثيرة علىّ؟! لو فكر داود هكذا، لما فعل ما صنعه بعد ذلك، بل و أضاف إلى ثقل خطاياه أثقالاً أخرى.

لا تستسلم بسبب الجراحات الروحية

ليس فقط الجراح الجسدية، بل جراح الروح تؤدى إلى الموت إن أُهملت.

لقد وصلنا إلى هذا الحد من الانحدار فى غباء، حتى أننا نعطى اهتمامًا للجراح الجسدية ونترك الأخرى. وبالرغم من أنه كثيرًا ما تكون

بعض الجراح الجسدية صعبة الشفاء، ولكن رجاءنا فى شفائها لن يزول، حتى إن سمعنا الأطباء يشهدون باستحالة علاجها بالأدوية نصمم أن نطلب نصيحة ولو للتخفيف عنها. أما بالنسبة للروح، فحيث لا يوجد فيها مرض يستحيل شفاؤه، إذ لاتخضع لقانون الطبيعة، فهل نهمل ونيأس كما لو كانت ضعفات لا تُعالج.

فحيث تقتضى طبيعة الفساد أن نيأس، نقبل الآلام كما لو كان هناك رجاء عظيم فى العودة إلي الصحة، بينما حيث يوجد مجال للرجاء، لا ننقطع عن الجهاد ونتوانى!!!...

إننا نهتم بالجسد أكثر من الروح، وهذا هو السبب الذى يجعلنا عاجزين حتى عن خلاص الجسد. لأن من يزدرى بعنصر القيادة ويصب اهتمامه على الأمور الصغيرة، يُهلك الاثنين معًا...وأما من يهتم بالعنصر الذى يقوم بالقيادة، فانه حتى إن أهمل العنصر الثانوى، فإن الأول يحفظه...

وان استسلمت... فأنا لى رجاء فيك

إن كنت تيأس من نفسك عشرة الآف مرة، فأنا لن أيأس من خلاصك. إننى لن اخطئ هذه الخطية التى أنتهر الآخرين عنها. ومع ذلك فإن رجاء الإنسان فى نفسه يختلف عن رجائه فى آخر. لأن من يشك بخصوص آخر قد يكون له عذر، لكن من يشك فى رجاء نفسه فهو بلا عذر.

لماذا أصلى؟... لأنه ليس لى سلطان للسيطرة على غيرة الآخرين وتوبتهم، إذ لايسيطر الإنسان إلا على غيرته وتوبته. ومع هذا فأنا لا أيأس من خلاصك، حتى وإن سلكت أنت فى طريق اليأس دفعات كثيرة.

أمميون لم يستسلموا !!

عندما سمع أهل نينوى يونان النبى يعلن بلهجة قاسية ويهدد بشدة: "بعد أربعين يومًا تنقلب نينوى" لم تضل قلوبهم، بالرغم من عدم وجود ثقة

لديهم بأنهم يقدرون على إزالة غضب اللّه.

لقد كان المتوقع هو العكس، لأن رسالة اللّه على فم يونان كانت واضحة ولم يذكر فيها شئ عن قبولهم إن رجعوا، لكنهم أعلنوا التوبة قائلين:" لعل اللّه يعود ويندم ويرجع عن حمو غضبه فلا نهلك. فلما رأى اللّه أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة ندم اللّه على الشر الذى تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه" (يونان ٣:٩،١٠).

فإن كان الأمميون غير الفاهمين استطاعوا أن يدركوا هذا، فكم بالأكثر ينبغى علينا نحن الذين تدربنا فى التعاليم الإلهية، ورأينا أمثلة كثيرة من هذا النوع فى التاريخ وفى اختباراتنا الحالية؟!...

ان كنا نقبل فى بيوتنا عبيدًا سبق أن أعلنوا عصيانهم علينا، بمجرد وعدهم أنهم سيصيرون أفضل مما كانوا، فنردهم إلى مراكزهم الأولى، وأحيانًا نهب لهم حرية فى الكلام أكثر من الأول، فإن اللّه يفعل بنا أكثر من هذا. لأنه لو كان اللّه قد خلقنا لكى يعاقبنا لكان يحق لك أن تيأس وأن تسأل عن إمكانيتك فى الخلاص. لكن إن كان لم يخلقنا إلا بحسب إرادته الصالحة، ويقصد أن يمتعنا بالبركات الأبدية، مدبِّرًا كل شئ لأجل تحقيق هذا الهدف، منذ اليوم الأول إلى وقتنا هذا، فكيف يتسرب إليك الشك؟!

استسلامك أشر من خطاياك

هل نحن أغظنا اللّه بقسوة لم يرتكبها أحد من قبل؟ إن هذا بالحرى يجعلنا نكف عن أعمالنا الماضية، ونتوب عما سلف، ونُظهِر تحولاً عظيمًا. لأن الشرور التى ارتكبناها لا تغيظ اللّه قدر عدم رغبتنا فى التغيير. **لأن من يخطئ يكون قد سقط فى ضعف بشرى، وأما من يستمر فى نفس الخطية، فإنه يبطل إنسانيته ليصير شيطانًا.**

أنظر كيف يلوم اللّه على فم نبيه العمل الثانى أكثر من الأول "فقلت بعدما فعلت كل هذه ارجعى إلىّ فلم ترجع"(إر٣:٧).

قـــوة التـــوبـــة

ستعود بقوة اعظم

الذين أظهروا عنفًا زائدًا فى شـرورهم، يظهـرون نفس الغيرة عنـد عودتهم إلى الحياة الصالحة، وذلك لشعورهم بثقل الديـن العظيـم المدينـون بـه. هذا ما أعلنه السيد المسيح عندما حـدَّث سـمعان عـن المرأة الخاطئـة: "أنظر هذه المرأة. إنى دخلت بيتك وماء لأجل رجلىْ لم تعط. وأما هى فقد غسلت رجلىَّ بالدموع ومسحتهما بشعر رأسها. قبلة لـم تقبلنـى. وأمـا هـى فمنذ دَخلتْ لم تكف عن تقبيل رجلىْ . بزيت لم تدهن رأسى. وأما هى فقد دهنت بالطيب رجلـىْ. مـن أجل ذلـك أقـول لـك قـد غفـرت لهـا خطاياهـا الكثيرة لانـها أحبت كثيرًا. والذى يغفر له قليل يحب قليلاً " لو٧: ٤٤-٤٧

لهـذا السـبب أيضـا، إذ يعـرف الشـيطان أن الذيـن ارتكبـوا شـرورًا كثيرة، عندما يبتدئون فى التوبة يسلكون فيها بغيرة أعظم، بقـدر شـعورهم بثقل خطاياهم، لهذا يُخيفهم ويرعبهم لئـلا يبـدأوا فـى العمـل. فـإن ابتـدأوا لايمكن صـدهم بل يلتهبون كالنار تحت فاعلية التوبة. فتصير نفوسهم أنقـى من الذهب النقى، مدفوعين بضميرهم وتذكرهم لخطاياهم السابقة، كمـا لـو كانوا مدفوعين بعاصفة قوية نحو سماء الفضيلة.

هذه هى النقطة التى يستفيد منها الذين سقطوا عمـن لـم يسقطوا، إذ يعملون بنشاط أوفر... لكن كما قلت، إن أمكنهم أن يبدأوا، **فصعوبة العمل وقسوته هى فى وضع القدم على البداية، والوصـول إلـى مدخـل التوبـة، ودفع العدو وطرحه، ذاك الذى يحنق علينا ويحاربنا**. أما بعد الدخول فـلا يعرض الشيطان حنقه الزائد بعدمـا فشـل، وسـقط حيـث كـان قويًـا. فننـال نشاطًا أوفر، ونجرى بسهولة فى هذا السباق الحسن.

ليتنا نضـع أمامنا عودتنا. ليتنا نسـرع إلـى المدينـة التـى فـى السـماء،

التى فيها سُجلت اسماؤنا، واخترنا لكى نجد فيها مكانًا كمواطنين.

أما يأسنا من نفوسنا فلا يقف عند هذا الشر وهو أن يغلق اللّه أبواب هذه المدينة فى وجوهنا، ويجرنا نحو البلادة والاستهتار بل يُسقطنا فى الطيش الشيطانى أيضا.

فالسبب الذى لأجله صار الشيطان كما هو عليه، أنه سقط أولاً فى اليأس التام، ومن اليأس سقط فى الطيش.

فعندما تُحرم النفس من خلاصها، تبدأ تغرق إلى أسفل. مختارة لنفسها أن تفعل وتقول كل ما يضاد خلاصها.

فكما أن المجانين عندما يفقدون سلامة عقلهم، لايعودون يخافون ولايخجلون من شئ، بل بدون خوف يتجاسرون على صنع كل شيء، ولو أدى إلى سقوطهم فى النار أو ماء عميق أو هوة. فالذين أمسكوا بجنون اليأس من الآن فصاعدًا لايمكن ضبطهم بل يسيرون مندفعين نحو الرذيلة من كل جانب. وإن لم يأتهم الموت كحدٍ فاصلٍ لجنونهم وعنفهم، يصنعون لأنفسهم أضرارًا لا حد لها.

لذلك أتوسل إليك قبل أن تنحدر بعمق فى هذا السكر، أن تسترد حواسك، وترتفع بنفسك، وتنزع عنك تلك النوبة الشيطانية، منفذًا ـ بهدوء وبالتدريج ما لم تستطع أن تنفذه دفعة واحدة...

ستنال مكافاة مضاعفة

إننى أتوسل إليك وأطلب منك أن تذكر سمعتك الأولى، وذلك الإيمان الذى كان لك. فإننا نريد أن نراك مرة أخرى على برج الفضيلة، وفى مثابرتك الأولى.

أذكر أولئك الذين يتعثرون بسببك، هؤلاء الذين يسقطون ويزداد توانيهم وييأسون من طريق الفضيلة.

لقد خيم الحزن على رابطة أصدقائك ذوى السيرة الحسنة، بينما حلّ الفرح والسرور بين جماعات غير المؤمنين والأحداث المتوانين. وفى

حالة رجوعك مرة أخرى إلى استقامتك السابقة، فستنعكس النتيجة. فينتقل خزيك إليهم، بينما نصير نحن فى ثقة أعظم، إذ نراك مرة أخرى مكللاً وحائزًا على النصرة فى صورة أبهى مما كنت عليه. فإن مثل هذه النصرة تجلب شهرة أعظم وسعادة أوفر.

إنك لن تنال المكافأة عن إصلاحك فحسب، بل بما ستقدمه من نصائح وتعزيات للآخرين أيضا، إذ تصير مضرب المثل لمن يسقط مثلك، فيتشجع ويقوم وتُشفى نفسه.

إذن لاتهمل هذه الفرصة المربحة، ولاتسحب أنفسنا إلى الهاوية التى كنا فيها، إننا فى حزن، بل دعنا نتنسم الحرية مرة أخرى، وتزول عنا سحابة القنوط التى تساورنا من جهتك.

والآن لنَدَعْ جانبا موضوع متاعبنا، فإننا نحزن على ما يحل بك من المصائب ولكن إن أردت أن تعود إلى رشدك، وتنظر بوضوح وتسير فى الجمهور الملائكى، فإنك ستعتقنا من الحزن وتُزيل عنا النصيب الأوفر من الخطية.

شهادة الكتاب المقدس

فإنه يمكن للراجعين بالتوبة أن يضيئوا بلمعان مضاعف أكثر من أولئك الذين لم يسقطوا قط، مستشهدا بما ورد فى الكتب المقدسة، فعلى الأقل أولئك العشارين والزوانى ورثوا الملكوت قبل كثير من الباقين...

توبة واعتراف بلا رجاء

إننى أعرف حقًا انك تعترف بخطاياك، وتسمى نفسك بائسًا بلا حدود. لكن ليس هذا كل ما أطلبه منك، بل اشتاق أن تتيقن من أنك تتبرر. لأنه طالما تقدم هذا الاعتراف دون أن تشعر بفائدته، فحتى ان أدنت نفسك، فإنك لن تتخلص من الخطايا المقبلة. فإنه لايستطيع أحد أن يمارس شيئًا بغيرة وبطريقة مفيدة ما لم يقتنع أولا بفائدتها.

فالزارع بعدما يبذر الحبوب، لن يحصد شيئًا ما لم ينتظر

المحصول. لأنه من يقبل أن يتعب عبثًا، مادام لايربح شيئًا من تعبه؟! هكذا من يزرع كلمات ودموعًا واعترافًا، إن لم يصنع هذا برجاء حسن لن يستطيع أن يتخلص من خطائه إذ لايزال يخطئ بخطية اليأس...

لاتقف عند حد اتهام نفسك بخطاياك، بل كُنْ كمن يريد أن يتبرر بالتوبة. لأنه بذلك يمكنك أن تُخجل نفسك المعترفة حتى لاتعود تسقط فى الخطايا مرة أخرى. لأن اتهام الإنسان لنفسه بشدة واعترافه بأنه خاطئ أمر شائع حتى بين غير المؤمنين أيضًا.

فكثيرون ممن يعملون فى المسارح، من رجال ونساء، هؤلاء الذين اعتادوا أن يقوموا بأعمال معيبة، يدعون أنفسهم بائسين، لكنهم لايقولون هذا بقصد مفيد. فهذا لاأدعوه اعترافًا، لأن اعلانهم عن خطاياهم لم يصحبه تأنيب الضمير ولا دموع حارة ولاتغيير فى السلوك إنما يقدم البعض هذا الاعتراف لمجرد نوال شهرة لدى السامعين لصراحتهم فى الحديث...

فالذين هم تحت تأثير اليأس يفقدون الحساسية، فيستهينون بنظرة أصدقائهم لهم، كاشفين لهم أفعالهم الشريرة كما لو كانوا يتحدثون عن خطايا الآخرين...

وما هى جذور اليأس واصله؟

إنه التراخى.

يلزمنا ألا ندعو التراخى جذور اليأس فحسب بل هو مربيه ووالده ... فالتراخى يؤدى إلى اليأس، وفى نفس الوقت يزداد باليأس. كل منهما يقوى الآخر فى تبادل شرير...

فمن ناحية أخرى نجد أن الإنسان غير المتراخى لن يسقط فى اليأس.

ومن ناحية أخرى نرى أن الذى يتقوى بالرجاء الحسن ولاييأس من نفسه، لن يقدر أن يسقط فى التراخى...

الثمن ٦٠ قرشاً